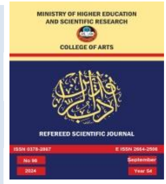


Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com



The Role of Jathleeq in Ilkhanid Mongolian State

Mustafa Hashim Abd- Alaziz

Asst. Prof./Dept. of History/ College of Arts/ /University of Mosul

Article Information

Article History:
Receive December27, 2023
Reviewer January 6 .2024
Accepted January 14, 2024
Available Online September1, 2024

Keywords:
Mar Michael II
Mardenha
Maria Palaia
Hulegu Khan
Ghazan Khan.

Correspondence:
Mustafa Hashim Abd- Alaziz
mustafa.h.a@uomosul.edu.iq

Abstract

The history of the Nestorian Christian sect goes back to the period of Sassanid rule in Iraq, with fewer participants than adherents of the Jacobite sect, given that Al-Mada'in, the capital of the Sassanian state, was a center for the Nestorians, which was later known as the position of the Catholicos, even after the control of the Abbasid state, because Baghdad was its capital**.**

The Catholicos was responsible for appointing and transferring bishops and metropolitans from all the countries under his jurisdiction, which in the late 5th century AH included Syria, Palestine, Egypt, Iran, and China. In the late Abbasid period, the Catholicos was given a charter from the Abbasid caliph that made his authority official over his flock, and required them to obey him and judge them in accordance with their own laws**.**

The conditions of the Christians of Iraq under the Mongol Ilkhans were not uniform, but changed with the change of rulers. Their kings, who were Christians themselves, treated their leaders well and exempted their subjects from the jizya (poll tax) and granted them charters confirming this. Hulegu Khan supported the Christians because his wife was a Christian. The Mongols' care for the Christians went so far that some of the Ilkhans or their representatives participated in the installation of their supreme religious leader, the Catholicos, in official ceremonies held under their patronage. We find that the election of the Catholicos in the Ilkhanid period was first carried out by the nomination of Christian leaders. The Catholicos played a major role in the Ilkhanid Mongol state by mitigating some of the punishments imposed on Christian subjects by Mongol rulers.

DOI: 10.33899/adab.2024.145646.2050,

منصب الجاثليق ودوره في الدولة المغولية الايلخانية

مصطفى هاشم عبدالعزيز [*]

المستخلص:

تعود الجذور التاريخية للطائفة النصرانية النسطورية الى حقبة الحكم الساساني في العراق يشاركهم فيها اقلية من معتنقي المذهب اليعقوبي, وكانت المدائن عاصمة الدولة الساسانية مركزاً لرئيس النساطرة والذي عرف فيما بعد بمنصب الجاثليق واستمر ذلك حتى بعد قيام الدولة العباسية واتخاذ بغداد عاصمةً لها.

[*] استاذ مساعد / قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل

والجاثليق وظيفته تعيين ونقل الاساقفة والمطارنة من جميع البلدان التابعة له, والتي كانت في أواخر القرن الخامس الهجري تشمل كلاً من المشرق الاسلامي والصين, وكان منصب الجاثلين في أواخر العهد العباسي يكتب له عهد من الخليفة العباسي يجعل سلطته رسمية على رعيته ويفرض عليهم الطاعة ويحكم فيها بينهم بما يجيزه شرعهم.
لم تكن أحوال نصارى العراق في عهد المغول الايلخانيين على حالة واحدة, بل كانت تتغير بتغير الحكام, فحكامهم الذين كانوا يدينون بالنصرانية احسنوا الى رؤسائها وأعفوا رعاياها من الجزية ومنحوهم براءات تؤيد ذلك, فأعان هولاكو النصارى لان زوجته كانت نصرانية, وبلغ من رعاية المغول للنصارى أن ساهم بعض الايلخانات أو ممثلوهم في تنصيب رئيسهم الديني الأعلى(الجاثليق) في احتفالات رسمية تقام تحت رعايتهم, فنجد أن أختيار الجاثليق في العهد الايلخاني كان يتم اولاً بترشيح من زعماء النصارى, وكان للجاثليق دور كبير في الدولة المغولية الايلخانية وذلك بالتخفيف عن الرعايا النصارى بجزء من العقوبات التي كانت تفرض عليهم من قبل حكام المغول.

الكلمات المفتاحية: مار مكيخا الثاني, ماردنحا, ماريابالاها, هولاكو, غازان

الجاثليق:

وهو الرئيس الديني الأعلى للنصارى النسطوريين, إذ إن الغالب على المشرق هو المذهب النسطوري [(1)] وصفاته التي تؤهله لهذا المنصب الديني أن يكون طويل القامة عالي الصوت جيد الخلق وأن يكون ذا لحية عظيمة زاهداً في الرياسة [(2)] ويكون ممن شغل منصباً دينياً عالياً كالاسقف أو المطران في أحدى الأسقفيات المنتشرة في المشرق الاسلامي أو غيرها من الاماكن الأخرى [(3)] والشهادة له بالعلم وما الى ذلك من الأمور الاخرى[(4)] .

وكان مقر الجاثليق في المدائن وعند بناء مدينة بغداد ولكثرة المصالح بين السلطة العباسية والجاثليق قام بنقل مقره الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد, وذلك عام (173ه/ 779م) وسكن في كنيسة الروم [(5)] .

وعند استيلاء هولاكو على بغداد عام (656ه/ 1258م) كان يشغل منصب الجاثليق في ذلك الوقت (مار مكيخا الثاني) الذي تولى المنصب في أذار من عام (655ه/ 1257م) [(6)] وهو من جوغان من أعمال مدينة نصيبين[(7)] وبرز دور الجاثليق (مار مكيخا الثاني) وذلك بعد أن أحكم هولاكو الطوق والحصار على مدينة بغداد, أذ لما رأى الخليفة العباسي المستعصم بالله بن المستنصر(640-656ه/1242-1258م) أنه لا أمل يرجى من مقاومة المغول, قرر تشكيل وفد يضم كبار رجالات الدولة وبعضاً من رجالات الدين, وكان ابرزهم الوزير بن العلقمي ونجم الدين بن عبد الغي بن دريوس والجاثليق مار مكيخا, وأمر الخليفة العباسي أن يأخذوا هدايا ثمينة, وأن يطلقوا من السجن السفراء الذين ارسلهم المغول من قبل هولاكو, وأن يخلعوا عليهم الخلع النفيسة ويلبسونهم الملابس الفاخرة وأن يصحبوهم الى هولاكو[(8)] كان على الوفد أن يطلب الأمان للخليفة واولاده وأهله وأن يعتذر عمّا بدر من تأخير في تسليم المدينة والاساءة لسفراء المغول, وبعزو السبب وراء ذلك الى مشورة بعض الخونة من اصحاب الخليفة, ويطلب من هولاكو (ملك الملوك) أن يمنَّ عليهم بالحياة وانهم اصبحوا جميعهم من ضمن عبيده ورعاياه كذلك ابلغوه بدفع الجزية [(9)] .

استقبل هولاكو الوفد, الا انه ابقاهم في معسكره, ومضى هولاكو بتنفيذ خططه في حصار مدينة بغداد [(10)] .

وبرز دور الجاثليق مرة اخرى عند حصار هولاكو لمدينة بغداد إذ قام بجمع النصارى في مدينة بغداد في كنيسة السوق الثالث, ولم يتعرض لهم المغول بسوء بل اعطت زوجة هولاكو ((دوقوز خاتون)) وكانت مسيحية أوامر بحمايتهم وعدم التعرض لهم[(11)] واصبحت

---

(1) أبونا, الأب ألبير: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام, (بغداد, 1985) , جـ2, ص 193.
(2)الجاحظ, أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين, عبدالسلام هارون, مكتبة المثنى, (بغداد, 1960), جـ1, ص125
(3) ماري بن سليمان: أخبار بطارقة كرسي المشرق من كتاب المجدل, نشره: خيسموندي, (روما, 1899) , ص86.
(4) ويذكر أن (اسرائيل) أسقف كستر الذي كان مرشحاً لمنصب الجاثليق سنة(351ه/ 961م) كان مستحقا لعلمه وفضله وكذلك(ايليا الاول) الذي رشح لمنصب الجاثليق سنة(418ه/ 1028م) لثقافته وعلمه الغزير ينظر: البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية, جـ2, ص180.
(5) أسحق, رفائيل بابو: تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا, مطبعة المنصور, (بغداد, 1948), ص46.
(6) خصباك, جعفر حسين: العراق في عهد المغول الايلخانيين 656-736ه/ 1258-1335م, مطبعة العاني, (بغداد, 1968) , ص186
(7) نصيبين: وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر اهلها اربعون الف شبان, بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة ايام. ينظر: ياقوت الحموي, شهاب الدين أبن عبدالله: معجم البلدان, دار صادر, (لبنان, 1991) مج5, ص288.
(8) جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباسي نقله الى العربية: حسين زينة, دار المشرق, (بيروت, د.ت), ص380.
(9) جان موريس: أحوال النصارى في خلافة بني العباسي, ص380.
(10) جان موريس : احوال النصارى في خلافة بني العباسي, ص380.
(11) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين, ص189.

دار الجاثليق داراً آمنة مما دفع بعض اغنياء المسلمين الى نقل اموالهم وأمتعتهم الى دار الجاثليق لتأمينها وطمعاً منهم بالنجاة ولكنهم قتلوا عن آخرهم في نهاية المطاف [1] .

وعندما احتلت مدينة بغداد من قبل المغول, قام هولاكو أيلخان المغول باستدعاء الجاثليق (مار مكيخا الثاني) وأنعم عليه واعطاه دار الخلافة المعروف بدار (الدويدار) التي تقع على نهر دجلة حتى يسكنها ويعمر فيها (البيعة الجديدة) [2] وقد رويت هذه الحادثة من قبل المؤرخ ابن الفوطي (ت 723ه/1324م) فقد ذكر ((وسلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد ابن الاثير, وجعل أمر الفراشين والبوابيين إليه وتقدم للجاثليق وسكن دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة فسكنها ودق الناقوس على اعلاها, واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة, وعلى الرباط البشري المجاور لها, وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني, ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد)) [3] أشعاراً كثيرة منها: ما قاله شمس الدين محمد بن عبدالله الكوفي الواعظ.

بانوا ولي أدمع في الخد تشتبك

ولوعة في مجال الصدر تعتكر[4]

وتعدُّ دار الدويدار التي منحت للجاثليق, من اعظم دور بغداد في ذلك العصر واجملها واشهرها بعد دار الخلافة [5] .

وبرز دور الجاثليق مرة أخرى, عندما أرسل نصارى تكريت الى مار مكيخا الثاني, يطلبون منهُ أن يتوسط لهم عند المغول في تعيين شحنة [6] لحراسة مناطقهم, فوافق هولاكو على طلبهم فلما وصل المغول الى مدينة تكريت أقدم المغول على قتل كبار المسلمين فيها ونهبوا أموال التجار المسلمين, خاف النصارى على انفسهم من افعال المغول هذه, حينئذٍ قرروا اللجوء الى البيعة الخضراء, فلم يلحقهم أذى في بادئ الامر, الا أنهم تعرضوا للقتل والسلب والنهب من قبل السلطات المغولية شأنهم في ذلك شأن المسلمين وفقاً لأمر أصدره هولاكو يقضي بقتلهم ومصادرة أموالهم, حيث أتهم المغول النصارى بأنهم يخفون أموالاً طائلة, ولم يؤدوا منها شيئاً, وحين استقصى المغول عن صحة الخبر أقر رؤوساء وأكابر النصارى بالأمر, وحين وصول الخبر الى هولاكو أمر بقتل جميع النصارى في تكريت, ووجه لذلك أحد قادته مع عدد كبير من المغول, فقتل اكثر الرجال[7] بعد أن أتهموا بالاستحواذ على الاموال فلم ينجوا منهم سوى عدد قليل, ولم تشفع لهم(دوقوز) خاتون زوجة هولاكو ولا حتى كبار القادة النصارى المقربين منه[8] .

وذكر أحد المؤرخين, بأن المصاهرات والشخصيات النصرانية لم تكن الدافع الاساس في توثق علاقة النصارى بالمغول بل سبب الطبيعة المسالمة لهذه الطائفة التي دفعت لتحقيق ذلك, فلم يكن همهم سوى العيش بأمان ونيل الامتيازات المادية وغير ذلك [9] .

استاء اهالي بغداد وتكريت من تصرفات الجاثليق (مار مكيخا الثاني), وأخذوا يتحينون الفرصة للتعبير عن سخطهم وتذمرهم من تصرفاته في السبع سنوات التي تولى فيها المنصب, وحانت الفرصة للسكان, حين أشيع بأن الجاثليق(مار مكيخا الثاني), قبض على رجل نصراني من أهل بغداد, كان قد اعلن اسلامه, وأعتقله بداره المعروف بالدويدار الكبير وعزم على قتله غرقاً في النهر [10] فثار أهل بغداد وتجمهروا أمام دار الحكومة, فبعث الوالي المغولي مراراً الى الجاثليق طالباً منه أن يسلم الرجل المحبوس لديه, الا أنه أمتنع واصر على

---

(1) الاب البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية,جـ2, ص275.
(2) الامين, حسن : المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام , دار التعارف للمطبوعات, (بيروت, 1992م) , ص191
(3) ابن الفوطي, كمال الدين ابي الفضل عبدالرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة, تحقيق: مهدي النجم, دار الكتب العلمية, (بيروت, 2003م) ص 238؛ أبو اسحق: تاريخ نصارى العراق, ص110.
(4) أبن الفوطي: الحوادث الجامعة, ص238-239.
(5) الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص191.
(6) الشحنة: منصب استخدمه السلاجقة في القرن الخامس الهجري, يقوم مقام مدير الشرطة أو ما يسمى اليوم بالحاكم العسكري, كي يكون عيناً للسلطان للسلطان السلجوقي على الخليفة العباسي ثم تطور هذا المنصب وأصبح مهمته المحافظة على أمن المدينة واستقرارها. ينظر: العلي, فيصل كاظم أحمد: نصارى العراق دراسة احوالهم العامة في العصر العباسي, اطروحة دكتوراه, (غيرمنشورة), (البصرة, 2011), ص288, هامش رقم (3).
(7) اسحاق, يونس متي : دراسات في تاريخ ابي الفرج الملطي المعروف بأبي العبري_تاريخ الازمنة السرياني ومختصر تاريخ الدول العربي, رسالة قدمت الى دائرة الادب العربي ولغات الشرق الاوسط في الجامعة الامريكية, (بيروت, 1973), ص105-106.
(8) اسحاق: دراسات في تاريخ ابي الفرج الملطي, ص105-106.
(9) العلي: نصارى العراق دراسة في احوالهم العامة في العصر العباسي, ص 228.
(10) أبن الفوطي: الحوادث الجامعة, ص254؛ الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص192.

ابقائه في قصره[1] فما كان من السكان الا أن ضربوا حصاراً على دار الجاثليق واحرقوا باب داره وقاتلوا أصحابه وتسلقوا الجدار ليدخلوا عليه ويقتلوه, الا أنهم لم يعثروا عليه لانه أضطر الى مغادرة داره والالتجاء الى حاكم العراق من قبل المغول [2] الا وهو صاحب الديوان علاء الدين عطا ملك الجويني, وللقضاء على هذه الفتنة قام شحنه بغداد (توكال بخشي) بالقبض على نفر من العوام فقتل جماعة منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة [3] .

وهكذا نجا (مار مكيخا الثاني) من بطش الاهالي, وتوجه فوراً الى مدينة مراغة[4] عاصمة دولة المغول الايلخانية في إقليم اذربيجان[5] الا أن الجاثليق(مار مكيخا الثاني) لم يحصل على اي شكل من اشكال الدعم, في أثناء اقامته في اذربيجان لدى المغول, وعلى اثر ذلك الشيء قرر العودة الى مدينة أربل [6] وقام ببناء كنيسة في قلعتها وعاش بها[7] وبعد مدة من الزمن قرر العودة الى بغداد والاقامة بها الى أن مات, وكانت مدة رئاسته للمنصب ثماني سنين وخمسة شهور, وبقى المنصب شاغراً بعد وفاته مدة سبعة شهور وخمسة عشر يوماً, الى أن خلفه في المنصب(مار دنحا) الاربلي[8] والجاثليق (مار دنحا) قد وصفه المؤرخ عمرو بن متي حيث ذكر ((هذا الأب كان حسن الشيبة, تام القامة, نقياً, طاهراً, كثير العلم عارفاً بأصول اللغة السريانية محباً للعلم والتعليم وهو من الرستاق, وصار مطراناً على اربل وهو دون الثلاثين...))[9]

ووقع الاختيار على(مار دنحا) من قبل أغلبية وجهاء النصارى وقساوستهم لتسنم منصب الجاثليق, وكتبوا له بالرضى, ولم يعترض عليه احد منهم, ولما سمع بالامر الايلخان المغولي (اباقا خان) (663-680ه/ 1265-1282م) [10] قام الاخير بارسال الخلع السنية مع فرمان خاص بالتعيين ووهبه وساماً رفيعاً ومظلة لاترفع الا على رؤوس الامراء, كما ارسل له كل من الامير يعقوب والساعور بريخا وثلاثة من امراء المغول ليكونوا في خدمته وحمايته[11] .

وذكر أحد المؤرخين المجاملة والمحاسنة التي حظي بها هذا الجاثليق من قبل الايلخان اباقا, فقد اصدر بتعيينه مرسوماً خاصاً, ووهبه وساماً رفيعاً ومظلة لا ترفع الاعلى رؤوس الأمراء, كما أن الايلخان اباقا عمل حفلة خاصة لتنصيب الجاثليق(مار دنحا), وقد أقيمت هذه الحفلة في المدائن, حيث كان يوجد بها بيعة يختارونها لاقامة تلك الحفلات [12] .

وبعد الانتهاء من حفلة التنصيب هذه, قرر الجاثليق(مار دنحا) العودة الى بغداد, واتخذ من دار الخليفة التي تقع على نهر دجلة سكناً له, وقام بعدة أجراءات منها أنه اعاد أعمار البيع والاديرة, التي اصابها الخراب والضرر, كما أنه قام بأحياء العلوم من خلال التبرع من ماله الخاص على استنساخ العديد من الكتب النادرة, وكذلك الانفاق على طلبة العلم [13].

ورغم المعلومات القليلة الوارد ذكرها في المصادر التاريخية عن الجاثليق(مار دنحا) الا أن جميع المصادر أتفقت على بقائه في هذا المنصب مايقارب ستة عشر عاماً وثلاثة شهور, وعند وفاته دفن بالبيعة الجديدة, التي قام ببنائها في دار الخلافة, وقد خلا كرسي الجاثليق مدة ثماني شهور بعد وفاته[14] .

---

(1) أبو اسحق: تاريخ نصارى العراق, ص111.
(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة, ص254.
(3) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين, ص190.
(4) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة, أعظم واشهر بلاد أذربيجان. ينظر: الحموي: معجم البلدان, مج5, ص92.
(5) أذربيجان: وهي في الاقليم الخامس, وحدود أذربيجان من برذعة مشرقاً الى ارزنجان مغرباً, ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم, والجبل والطرم, وهو أقليم واسع ومن أشهر مدنها تبريز: ينظر: ابن عبدالحق البغدادي, صفي الدين عبدالمؤمن: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار المعرفة, (بيروت, 1958), جـ1, ص 47.
(6) اربل: مدينة كبيرة في فضاء من الارض واسع, لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة, ينقطع سور المدينة في نصفها, وهي على تل عال عظيم من التراب: ينظر: بن عبدالحق البغدادي: مراصد الاطلاع, جـ1, ص51.
(7) ابن العبري: مخطوطة تاريخ الازمنة, ترجمة: شادية توفيق حافظ, المشروع القومي للترجمة, (القاهرة, 2007), ص157.
(8) الدخيل, سليمان: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد, دار الافاق العربية, (القاهرة, 2003), ص218.
(9) متي, بن عمرو: اخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل, طبع في رومية الكبرى, (د.م., 1866), ص121.
(10) اباقا خان: وهو الذي خلف والده هولاكو على عرش الدولة الايلخانية, عام(663-680ه/ 1265-1282م) وقد سار على نفس سياسة والده. ينظر: السيد, فؤاد صالح: مؤسسو الدول الاسلامية, مكتبة حسن العصرية, (بيروت, 2011), ص513.
(11) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص121.
(12) الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص194.
(13) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص122.
(14) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص122؛ الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص194.

أما عن مصير البيعة الجديدة التي بناها الجاثليق مار دنحا في دار الخلافة فقد ذكرت المصادر التاريخية, أنه في زمن الايلخان غازان(694ه/1294م) عندما أصبح الاسلام ديناً رسمياً للدولة الايلخانية, قام المسلمون باسترداد دار الخلافة ومن ضمنها البيعة الجديدة, كما قاموا بنبش المقابر فيها, فاجتمع النصارى في الرابع من ربيع الاخر سنة 695ه/1295م وقاموا بنقل رفات الاباء المدفونين فيها وهم كل من(مار مكيخا الثاني) و(مار دنحا) الى بيعة سوق الثلاثاء, وقد عمت أجواء من الحزن والالام للنصارى في ذلك اليوم, كما قاموا بعدة مجالس تأبين[1] وتولى منصب الجاثليق بعد وفاة الجاثليق(مار دنحا) الجاثليق ((يابالاها الثالث)) وقد وصفهُ المؤرخ عمرو بن متي قائلاً ((هذا الاب كان شاباً منيح الصورة مخنجر اللحية ثم عمر في الكرسي حتى صار شيخاً هيوباً وهو من الترك من بلاد الخطا ورد من بلده في خدمة الخان الاعظم)) [2] .

أما عن اسباب مجيئه الى بلاد العراق فهو زيارة بيت المقدس, وكان الخان الاعظم قد أرسل معه بعضاً من ثيابه لاجل تعميدها في نهر الاردن, كذلك التبرك بقبر السيد المسيح(عليه السلام), وعند وصوله الى الاردو المشرف تبريز((عاصمة الايلخانيين)) عرض فرامينهُ على السلطان المعظم الايلخان(اباقا) [3] الذي استقبله بحفاوة بالغة.

الا أن الايلخان أباقا اخبره بأن الطريق نحو بيت المقدس غير آمن, وأنه يخاف عليه من السفر الى فلسطين, خاصة ان(يابالاها) يتمتع بمكانة متميزة لدى الخان الاعظم, وانه ذو شهرة واسعة ويمكن التعرف عليه بسهولة من قبل اعداء الدولة الايلخانية((المماليك)) ولا شك أن خبرة الايلخان بمخاوف الطريق اعظم من خبرة يابالاها المذكور[4] .

فقد كانت العلاقات بين الدولة المغولية الايلخانية ودولة المماليك التي تحكم كلاً من الشام وفلسطين سيئة, ولازالت فكرة غزو بلاد الشام ومصر تراود ايلخانات المغول, الذين لم ينفكوا بالتفكير عن أخذ الثأر من المماليك على أثر الهزيمة الشنيعة التي تعرضوا لها في موقعة عين جالوت[5] .

ونتيجة للظروف التي احاطت بالجاثليق(يابالاها) قرر الامتثال لامر الايلخان اباقا بعدم العودة الى بلاده (الخطا) الشاش[6] بل قصد قصد مدينة بغداد, وكان برفقته مستشاره ومعلمه الذي تتلمذ على يديه المدعو (الربان برصوما), واتفق مع رفيقه على زيارة الجاثليق(مار دنحا) الذي مرَّ ذكره آنفاً, الذي كان موجوداً في بغداد في ذلك الوقت, ولم يكونوا يعلمون انه قد توفي[7] هكذا عاد يابالاها الى بغداد عن طريق اربل, ثم اتجه الى البيعة التي تم استحداثها في دار الخليفة فوجد المآتم قائم فيها على الجاثليق(مار دنحا), والجماعة يصلون عليه في البيعة المذكورة, وكان لم يدفن بعد فشاركهم في المآتم, بكثير من مظاهر الحزن والجزع وبكى بكاء شديداً عليه, ثم قبله في وسط فمه ثم دفن بعد ذلك[8].

في الوقت نفسه فرح النصارى فرح شديداً بقدوم(يابالاها) الى بغداد, على امل أن يتولى منصب الجاثليق خلفاً للراحل(مار دنحا), وقالوا بصوت واحد هذا هو جاثليقنا(وفطركنا), وبالفعل حدث ما كان متوقعاً فقد وقع الاختيار عليه ليخلف مار دنحا واجمعت على ذلك كلمة النصارى في بغداد[9] اذ نظم جماعة الآباء واهالي بغداد محظراً مذيلا بتواقيعهم وخطوطهم, ثم توجه يابالاها الى الاردو في تبريز بأذربيجان, ودخل على اباقا خان ففرح به وخلع عليه خلعة سنية مثمنة, وفي هذا الصدد ذكر المؤرخ متى اذ قال((وأطلق له اقامة كثيرة بشيء لايجد من كثرته وانفذ معه اميراً كبيراً معظماً اسمه((اشمت)) من العظم [القآين] ووصل الى بغداد بالإكرام والتبجيل)) [10].

بعد وصول يابالاها الى بغداد, توجه بعد ذلك الى دير المدائن, وكان وصوله يوم السبت ثم دخل بعد ذلك البيعة يلف به عدد كبير من المطارنة والاساقفة جاؤوا من اقاصي بلاد ماوراء النهر وتركستان والروم ومن بلاد الجزيرة والموصل وفلسطين ومصر, كذلك كان

---

(1) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص122؛ الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد, ص224.
(2) اخبار بطاركة المشرق, ص123.
(3) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص123؛ الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص194.
(4) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص123.
(5) الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص195.
(6) الشاش: بالري ويقال لها شاش. وهي مدينة في بلاد ماوراء النهر, ثم ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك واهلها شافعية المذهب. للمزيد: الحموي: معجم البلدان, مج3, ص308.
(7) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص123.
(8) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص124.
(9) متي: أخبار بطاركة المشرق, ص124؛ حداد بطرس: كنائس بغداد ودياراتها, المركز الاكاديمي للابحاث,(بيروت, 2015), ص169.
(10) تاريخ بطاركة المشرق, ص124.

من ضمن الحاضرين كل من مطران (المالق) و(تنكث) على حدود الصين, وهذا إن دل على شيء إنما يدل على وصول بعض المذاهب المسيحية الى آسيا الوسطى وبعض انحاء تركستان في ذلك الوقت[1].

وعندما تسلم مار يابالاها منصب الجاثليق في زمن المغول الايلخانيين, نال من العز والجاه والسلطان, مالم ينلهُ أحد من قبله, حتى أن امراء المغول واولادهم كانوا يكشفون رؤوسهم, كما أن حكمه أمتد الى جميع ممالك المشرق[2] .

ولهذه المكانة العظيمة التي جعل عليها مار يابالاها من لدن المغول, ارتفع شأن النصارى في بغداد ورُفع عنهم جزء من الحيف والظلم الذي وقع عليهم من جانب المغول, فقد اسقطت عنهم الجزية التي كانت تؤخذ منهم لكن هذا الامر لم يستمر اذ انتهى بوفاة اباقا خان سنة (680ه/1281م) [3] بعد موت اباقا خان تسلم الملك اخوه الايلخان تكودار(680-683ه/1281-1284م) الذي كان معمداً في صغره [4] [4] ثم أسلم واتخذ اسم أحمد ولقب بالسلطان واتسم عهده بالتقارب ما بين المغول والامراء المسلمين[5] لكنه اظهر الاحسان والشفقة الى جميع المغول والى الامم الباقية وخصوصاً الى اكابر النصارى[6] وقد ترتب على اسلام تكودار أن خلا ديوان الايلخان أحمد من المسيحيين المسيحيين واليهود, وحولت المعابد البوذية والكنائس الى مساجد واجبر كثير من المسيحيين على اعتناق الاسلام وفرض الجزية على اليهود والنصارى[7] .

ثار الامراء المغول على الايلخان أحمد وقتلوه سنة(683ه/1284م) ونصبوا الايلخان ارغون بن اباقا إيلخاناً (683-690ه/1284-1291م) وكان سبب قتله هو اعتناقه للاسلام, أما ارغون فقد كان بوذياً لكنه كان متسامحاً مع النصارى, كريماً مع الجاثليق ماريابالاها [8].

[8].

بعد وفاة أرغون اصبح أخوه كيخاتو إيلخاناً على المغول (690-694ه/1291-1295م), وكان يحترم رؤوساء الاديان كافة دون تمييز, وله علاقة وطيدة مع الجاثليق مار يابالاها, لكنه كان ضعيفاً قليل الخبرة في الادارة, فثأر عليه المغول وقتلوه ونصبوا مكانه بايدو الذي كان على دين اجداده, لكنه كان يكن للنصرانية ورجالها احتراماً وتقديراً, رغبة منه في توطيد عرشه لكنه لم يستفد شيء من ذلك وذلك لان غازان بن ارغون(694ه/1295م) كان يقاومه مدعياً احقيته بالعرش, وكان قد أعتنق الاسلام قبل ذلك بنحو اربعة اشهر فاسقطه سنة(694ه/1295م) وقتله وتولى العرش[9].

وباعتلاء الايلخان غازان عرش الدولة الايلخانية عام(694ه/1295م) أصبح الاسلام ديناً رسمياً للدولة, وقد بدأ حكمه باضطهاد النصارى, فأمر بإعادة دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير الى المسلمين بعد أن استولى عليها النصارى أيام هولاكو ، فقد أزيلت منها التماثيل والخطوط السريانية واعيد الرباط الواقع تجاه هذه الدار للمسلمين, وكان النصارى قد اتخذوه مدفناً لاكابرهم فأزيلت القبور منه وصار مجلساً للوعظ[10] .

وحال استلام غاران للحكم في بلاد العراق وايران اصدر مجموعة من القرارات التي كان من شأنها الاثر النفسي العميق, حيث ألزم اهل الذمة لبس الغيار, فكانت علامة النصارى هو شد الزنار في أوساطهم, واليهود خرقة صفراء في عمائهم, وقد استمر هذا الحال مدة طويلة, ثم قدم أهل الذمة طلباً الى السلطان غازان يطلبون منه أن يأمر بإلغاء هذا القرار, وبالفعل استجاب غازان الى طلبهم وذلك بسبب استغلال العوام والجهال لهذا الامر, حيث قاموا بالاعتداء على اهل الذمة ومصادرة ممتلكاتهم[11] وبرز دور الجاثليق ماريابالاها مرة

(1) الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص 196.
(2) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص125.
(3) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص125.
(4) حداد: كنائس بغداد ودياراتها, ص170.
(5) القزاز, محمد صالح داؤد: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية, مطبعة القضاء, (النجف, 1970), ص519 وما بعدها.
(6) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول, دار الرائد اللبناني, (بيروت, 1982), ص505-506.
(7) حداد: كنائس بغداد ودياراتها, ص170.
(8) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة, ص318.
(9) بطرس: كنائس بغداد ودياراتها, ص170.
(10) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين, ص194.
(11) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة, ص328.

اخرى, فقد أمر غازان بزيادة الضرائب على النصارى كما قام بإهانة رووسانهم, وهنا قرر الجاثليق ماريابالاها نقل كرسي البطريركية من بغداد الى مدينة مراغة[1] .

ونتيجة لهذا الامر قام السلطان محمود غازان بزيارة الجاثليق ماريابالاها في مراغة ونزل ضيفاً عليه وانعم عليه بهبات ثمينة, كما أمر غازان بتخفيف الاحكام السارية ضد النصارى[2].

ونتيجة لتحسن العلاقات بين الطرفين قرر الجاثليق ماريابالاها زيارة بغداد وذلك عام(703ه/1303م) بعد أن تركها لمدة سبع سنوات, ووصلها ليلة عيد الدنح واحتفل بالعيد في بيعة دار الروم, ثم ذهب الى مدينة الحلة لمقابلة السلطان غازان, وكان قد صادف في أثناء ذلك عيد رأس السنة المغولية والذي يقال له العيد الابيض لانهم كانوا يرتدوا الالبسة البيضاء في هذه المناسبة, وبعد انتهاء الزيارة عاد الجاثليق الى بغداد وامضى الشتاء فيها[3] وعند وفاة السلطان محمود غازان عام(703ه/1303م) خلفه في الحكم أخوه الجايتو (خدابنده) (703-716ه/1303-1316م), الذي كان يعتنق المسيحية, وكان قد اقتبل العماد والاسرار المقدسة, وكان يدعى نيقولا تيمناً بأسم البابا نيقولا الثامن(687-691ه /1288-1292) وكان في صغره يزور الجاثليق مع والدته, وعلق عليه الجاثليق أمالاً كبيرة, لاعادة المسيحية الى سابق عهدها, لكن حدث مالم يكن متوقعاً, حيث بعد وفاة والدته ومكوثه مدة طويلة في خراسان أعلن أسلامه وسمى نفسه(محمد), وفي تلك الاثناء زاره الجاثليق ماريابالاها الا أن السلطان الجديد محمد خدابنده استقبله استقبالاً باهتاً ليس من القلب, ثم عاد السلطان محمد خدابنده بفرض الجزية على الجميع بدون استثناء[4] وبعد مرور عامين على فرض الجزية على اهل الذمة(النصارى) اذ كان السلطان محمد (خدابنده) (خدابنده) في رحلة صيد مر بدير مار يوحنا المعمدان في مراغة, فخرج الرهبان للقائه واستقبلوه احسن استقبال, ونتيجة لذلك امر بأعفائهم من الجزية, ولما سمع الجاثليق ماريابالاها بذلك الامر لحق بموكب السلطان ورافقه رئيس الدير المذكور آنفاً فاستقبل السلطان محمد خدابندة ماريابالاها هذه المرة استقبالاً جيداً ولبى جميع طلباته وانعم عليه وأكرمه, كما أمر برفع الجزية عنه وعن القساوسة والشمامسة ثم امر بابطالها جميعها[5] .

توفى السلطان محمد(خدابنده) عام(716ه/1316م) فأعقبه في حكم الايلخانية ولده أبو سعيد بهادر خان بن اولجايتو (716-736ه/1316-1335م) وفي السنة التالية توفي الجاثليق ماريابالاها, ويعدُّ ماريابالاها آخر جاثليق عاصر الدولة الايلخانية[6] ولا يذكر في المصادر التاريخية أن كلاً من السلطان أبي سعيد وماريابالاها قد التقيا, ولكن الامور بصورة عامة لم تكن بصورة جيدة, والدليل على ذلك أنه في ايامه اجبر النصارى واليهود في بغداد على لبس الغيار, كما تعرضت كنائسهم واديرتهم للهدم والمصادرة, مما دفع عدداً كبيراً منهم الى الدخول في الاسلام[7].

أما بالنسبة للجاثليق التركي او المغولي ماريابالاها فالجدير بالذكر أن هذا الجاثليق قد بقي في منصبه مدة طويلة, لم يسبق احد من قبله, فقد عاصر في حياته ثمانية ايلخانات وهم كل من اباقا, أحمد سلطان, ارغون خان, كيخاتوخان, بايدو, غازان خان, خدابنده, وأبو سعيد, وذكرت المصادر التاريخية أنه قد تم دفنه في البيعة الجديدة بدار الدويدار في بغداد[8]

(1) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة, أعظم وأشهر بلاد أذربيجان, وكانت المراغة تدعى افراز هروذ. للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان, مج5, ص93.
(2) بطرس: كنائس بغداد ودياراتها, ص171.
(3) بطرس: كنائس بغداد ودياراتها, ص171.
(4) الخيون, رشيد: الاديان والمذاهب بالعراق, منشورات الجمل, (د.م, 2005), ص197.
(5) بطرس: كنائس بغداد ودياراتها, ص172.
(6) الغياثي: التاريخ الغياثي, تحقيق: طارق نافع الحمداني, مطبعة اسعد, (بغداد, 1975م) , ص82؛ حداد: كنائس بغداد ودياراتها, ص173.
(7) الخيون: الاديان والمذاهب بالعراق, ص198.
(8) متي: اخبار بطاركة المشرق, ص125؛ الامين: المغول بين الوثنية والنصرانية والاسلام, ص198.

الخاتمة

1. تعد المناصب الدينية لأية طائفة من الطوائف على درجة كبيرة من الاهمية, وذلك لما تؤديه من دور مهم في تخفيف العبء ورفع الظلم الواقع من أية حكومة تجاه الشعب.
2. إنّ منصب الجاثليق يعد من المناصب المهمة لدى الطائفة النصرانية, لما أداه من دور مهم في الدولة الايلخانية, فقد قام بعدة مناسبات بتخفيف الضرائب ورفع الحيف والظلم الواقع على الطائفة المسيحية من قبل المغول.
3. نالت الطائفة النصرانية في العراق أو بلاد ايران كبقية الطوائف من الظلم والعذاب ومصادرة الاموال والكنائس وهذا ما لاحظناه عند موت ايلخان مغولي وتولي ايلخان مغولي جديد.
4. تولى هذا المنصب العديد من الشخصيات وكان معظمها من العراق, باستثناء مار يابالاها, الا اننا نلاحظ أن المغول اختاروا لهذا المنصب مارياںالاها جاثليقاً للنصارى وهذا أول جاثليق تركي أو مغولي يستلم هذا المنصب مما يؤشر على تحول في سياسة المغول تجاه اختيار المناصب الدينية.

Reference

1. Al-Ali, Faisal Kazem Ahmed: The Christians of Iraq, a study of their general conditions in the Abbasid era, doctoral thesis, (unpublished), (Basra, 2011).
2. Al-Amin, Hassan: The Mongols between paganism, Christianity, and Islam, Dar Al-Ta'arof Publications, (Beirut, 1992 AD)
3. Al-Dakhil, Suleiman: Victory for what is desired in the history of Baghdad, Dar Al-Afaq Al-Arabiyya, (Cairo, 2003).
4. Al-Jahiz, Abu Othman Omar bin Bahr: Al-Bayan and Al-Tabin, Abdul Salam Harun, Al-Muthanna Library, (Baghdad, 1960).
5. Al-Khayoun, Rashid: Religions and Sects in Iraq, Al-Jamal Publications, (D.M., 2005).
6. Al-Qazzaz, Muhammad Salih Daoud: Political life in Iraq during the era of Mongol control, Al-Qada Press, (Najaf, 1970).
7. Al-Sayyid, Fouad Saleh: Founders of Islamic Countries, Hassan Al-Asriya Library, (Beirut, 2011)
8. Haddad Boutros: Baghdad's churches and monasteries, Academic Research Center, (Beirut, 2015).
9. Ibn Abd al-Haqq al-Baghdadi, Safi al-Din Abd al-Mu'min: Observatories for learning about the names of places and places, edited by: Ali Muhammad al-Bajjawi, Dar al-Ma'rifa, (Beirut, 1958).
10. **Ibn al-Abri: A brief history of countries, Dar al-Raed al-Lubani, (Beirut, 1982).**
11. Ibn al-Abri: Manuscript of the History of Time, Translated by: Shadia Tawfiq Hafez, The National Translation Project, (Cairo, 2007).
12. Ibn al-Futi, Kamal al-Din Abi al-Fadl Abd al-Razzaq: Comprehensive Incidents and Beneficial Experiences in the Seventh Hundred, edited by: Mahdi al-Najm, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 2003 AD).

13. Ishaq, Rafael Babu: The History of the Christians of Iraq since the Spread of Christianity in Iraqi Countries to Our Days, Al-Mansour Press, (Baghdad, 1948).
14. Ishaq, Yunus Matta: Studies in the history of Abu al-Faraj al-Malti, known as Abu al-Hebrew - the Syriac history of times and a brief history of Arab countries, a thesis submitted to the Department of Arabic Literature and Middle Eastern Languages at the American University, (Beirut, 1973).
15. Jean-Maurice Viet: The conditions of the Christians during the Abbasid Caliphate. Translated into Arabic by: Hussein Zeina, Dar Al-Mashreq, (Beirut, D.T.).
16. Khasbak, Jaafar Hussein: Iraq during the reign of the Ilkhanid Mongols 656-736 AH / 1258-1335 AD, Al-Athi Press, (Baghdad, 1968).
17. Mary Ben Sulaiman: News of the Patriarchs of the Throne of the East from the Book of Majdal, published by: Gismondi (Rome, 1899).
18. Matthew, Ibn Amr: News of the Patriarchs of the East from the Book of Majdal, printed in Rumiyya al-Kubra, (D.M., 1866).
19. Our Father, Father Albert: The History of the Eastern Syriac Church from the Spread of Christianity until the Coming of Islam, (Baghdad, 1985).
20. Yaqut Al-Hamawi, Shihab Al-Din Ibn Abdullah / Dictionary of Countries, Dar Har, (Lebanon, 1991)